مرتضى مطهري ودوره في تجديد الفكر الإسلامي

Mortada Motahari and his role in renewing Islamic thought

الطالبة مريم بوخاري* . أ. د عكاك عبد الغني

جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر 1- ، m.boukhari@univ-alger.dz

جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر 1- ، abdelghani_akak@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/17 تاريخ القبول: 2024/04/11 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص:

يتناول هذا البحث مسألة تجديد الفكر الإسلامي وإحيائه عند مرتضى مطهري باعتباره علماً من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، الذي قدر له أن يقوم بأدوار مشكورة في مجال التأصيل الفكري الديني، وفق تجربة نضالية أدخلته في جملة المجددين، فقد سعى إلى استنهاض الأمة، وتطهير الأفكار من رواسب الانحرافات الدخيلة عن الإسلام الأصيل، وتقديم الإسلام كنظام متكامل للحياة وبشكل عصري يستجيب لمتطلبات الواقع، وبذلك كان هدف هذا البحث بيان مدى اسهامات مرتضى مطهري في إحياء الفكر الإسلامي المعاصر، معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي النقدي حيث عمدت إلى جمع المتناثر من آرائه وكلامه، ثم تحليلها من أجل التعرف على جهوده واستخلاص ما يمكن استخلاصه، أما النتائج فاشتملت في مجملها إلى صرف الباحثين المتخصصين للاهتمام بسؤال التجديد، والاشتغال بدراسة التجارب الإصلاحية وعلى منهج مجددي العصر ومفكريه للتعرف عليهم وفهمهم، علهم يجدون ما يسهم في حل بعض الازمات التي تتخبط فيها الانسانية في عصرنا الحالي.

كلمات مفتاحية: مرتضى مطهري، التجديد، الإحياء، الإصلاح، الفكر الإسلامي.

Abstract:

This research deals with the issue of renewing Islamic thought and reviving it by Mortada Motahari as one of the flags of contemporary Islamic thought, who was able to play thankful roles in the field of religious intellectual rooting, according to a militant experience that I included in the whole of the renewers, as he sought to invigorate the nation, and purify ideas from deposits Exotic deviations from authentic Islam, and presenting Islam as an integrated system of life in a modern way that responds to the requirements of reality, and

* **المؤلف المرسل:** مريم بوخاري، **الإيميل:** m.boukhari@univ-alger.dz

thus the aim of this research was to show the extent of Mortada Motahari's contributions to the revival of contemporary Islamic thought, relying in this on the critical analytical method as I deliberately collected the scattered of his views And his words, then analyze them in order to get acquainted with his efforts and extract what can be learned, as for the results, they included, in their entirety, the dismissal of specialized researchers to take an interest in the question of renewal, and work in studying reform experiences and on the approach of modernists and thinkers to get to know and understand them, so that they may find what contributes to solving some crises in which humanity is floundering in our time.

Keywords: Mortada Motahari, Renovation, Revivalism, Reform, Islamic Thought.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يعد مرتضى مطهري من كبار العلماء والمفكرين في العصر الحديث الذين أسهموا بجهد مشكور في تجديد الفكر الاسلامي وإحيائه، وتحريره من الجمود الذي شل حركته، وساعده انخراطه في التجربة الاجتماعية والحراك الفكري لعصره وقربه من التيارات الإيديولوجية والحزبية، أن يتبصر بوضوح الخلل المتغلغل في مفاصل الفكر الاسلامي والمسيطر على مجمل ميادينه، فأدرك الانعطافة التي جعلت منه علماً عقلياً جافا لا تثير مقولاته أيّ دافعية أو اندفاع في وجدان البشر، ولا تحرك فيهم شعور بالمسؤولية الملزمة تجاه أنفسهم وتجاه مجتمعهم وتجاه دينهم ولا حتى تجاه العالم الذي يعيشون فيه، لذا اهتم بإصلاح المفاهيم، ومحاربة الانحرافات الفكرية، واستئناف الحركة الحضارية والنهوض الحضاري للأمة الإسلامية، فتجربته النضالية مكنته من كشف الآفات التي تطغى على مجتمعه، والأسباب التي تساهم في تأخره، والعوامل التي تقلل من فاعليته، ولهذا نجد منهجه واضحاً، حيث آمن بأن هذه الحركة الإحيائية لابد أن تبدأ بالعودة إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة.

وانطلاقا من هذا برزت أهمية الموضوع في تسليط الضوء على جهد مرتضى مطهري في التأصيل الفكري الديني، وطرح أهم الإشكالات التي يفرضها في ظل الحركة الإحيائية، و بيان رؤيته التجديدية التي أدخلته في جملة المجددين على اختلاف الأضلع المعرفية للفكر الإسلامي.

ومن هذا يمكن طرح مجموعة من **الإشكالات** كالآتي:

- من هو مرتضى مطهري؟ وما دوره في إحياء وتجديد الفكر الإسلامي؟
- ماذا قدم الشهيد مطهري للفكر الإسلامي؟
- ما هي الخصائص العامة لفكره؟

وعلى هذا الأساس وللإجابة على هذه الإشكالات، قسمنا البحث إلى:

- **مقدمة**: تطرقنا فيها إلى التعريف بالموضوع وبيان أهميته، وكذا الإشكالية، وخطة التقسيم ومعالجة الموضوع.

- **مدخل تمهيدي**

1. حياة مرتضى مطهري وتكوينه، وإنتاجه الفكري

2. تعريف تجديد الفكر الإسلامي

- **خصائص فكر مرتضى مطهري وأسلوب منهجه في تجديد وإحياء الفكر الإسلامي**

1. خصائص ومعالم فكر مرتضى مطهري
2. أسلوب منهج مرتضى مطهري في تجديد الفكر الإسلامي

- **دور مرتضى مطهري في إحياء الفكر الديني الإسلامي**

1. الحركة التجديدية في نطاق الفكر العقدي المعرفي
2. الحركة التجديدية لمرتضى مطهري في نطاق الجانب الفاعلي للإسلام

خاتمة: اشتملت على مجمل نتائج البحث وتوصيات

مدخل تمهيدي

- **حياة مرتضى مطهري، تكوينه و إنتاجه الفكري**

1. حياة مرتضى مطهري وتكوينه العلمي

1.1. نشأة مرتضى مطهري وتكوينه العلمي

مرتضى مطهري هو أحد قطبي الثورة الإيرانية الإسلامية من الناحية الفكرية، ولد عام 1920م، "في اقليم السبزواري خراسان، وكان مسقط رأسه فريمان" (مطهري، شرح المنظومة، 2009م، صفحة 08)، وسط عائلة متدينة ومثقفة، درس عند والده قبل انتقاله إلى مشهد لتحصيل العلوم الدينية التي بقي مشغولاً بها حتى عام 1936م، ثم ذهب بعد ذلك إلى مدينة قم، وهي موطن الحلقة المعاصرة من رجال المدرسة صدر الدين الشيرازي، حيث أخذ يحضر دروس آية الله البروجردي، والإمام الخميني، ومحمد الطباطبائي في الفلسفة والفقه والأصول والأخلاق والحكمة الإلهية (مطهري، الدوافع نحو المادية، 1391هـ، الصفحات 08-09)، فلقب بجامع المعقول والمنقول نظرًا لسعة علمه.

وفي عام 1953م أسس الجمعية الإسلامية للطلاب، ثم بعد سنة هاجر إلى طهران، حيث دعته جامعة طهران للتدريس في كلية المعارف الإسلامية، فاغتنم الفرصة وظل مدة اثنتين وعشرين عاماً يدرس الفلسفة والحضارة والمعارف الإسلامية، وقام بكتبه ومقالاته التي تعد بالمئات، بإرشاد الشباب نحو الإسلام وأنقذ الكثير منهم من الجو القاتل للدعايات والتلقينات المادية العمياء الذي كان يسود الجامعات الايرانية آنذاك.

وبذلك نجده قد قضى حياته كلها في مكافحة المفاسد وأساليب الضلالة والأفكار الملحدة والالتقاطية، ولم يتغافل أبدا عن ذكر الله وإرشاد الناس ودعوتهم الى الصراط المستقيم، رغم اعتقاله وإيداعه للسجن عدة مرات، ومنعه من الصعود للمنابر (مطهري، الدوافع نحو المادية، 1391هـ، صفحة 10)، ووصل الأمر إلى نفيه خارج البلاد، إلا أنه وبتشجيع من الإمام الخميني قام مع عدد من علماء الدين بتأسيس "جمعية علماء الدين المناضلين" فكان من أعضائها الناشطين.

واستمر كفاحه العلمي والسياسي إلى أن تعرض في أول من أيار عام 1980م، لرصاصة غدر من قبل عملاء المخابرات المركزية الأمريكية، ما أدى إلى استشهاده ففجعت إيران برحيله واتخذت من يوم استشهاده يوما للعلم.

2.1. إنتاجه الفكري

يعتبر مُطَهّري واحداً من أعمدت الفكر في الفضاء الشيعي المعاصر، حيث ظهر ذلك من خلال كتاباته التي تزيد عن خمسين كتاباً، تميزت بتنوع في الطرح، ومثلت صرحاً من الإبداع الفكري المتميز، فأعتُبِر من خلال مؤلفاته مُحللا للفكر الديني الثوري، ومؤسساً للأرضية السياسية للثورة الإسلامية.

والجدير بالذكر أن قبل الثورة الإسلامية في إيران كانت الكتابة في الأمور الدينية قليلة إلى حد الإنعدام، وحتى هذا الجهد القليل كان يُكتب على الطريقة القديمة التي كانت لغتها صعبة على القارئ المعاصر،

وأغلب هؤلاء لم يكتبوا في الموضوعات التي تخص الإنسان المعاصر، حيث كانت الثقافة السائدة في ذلك العصر أن الكتابة بشكل سهل يُفهم ليس من شأن علماء الدين، ولكن الشهيد مُطَهّري استطاع تجاوز هذه المسألة ولم يعترف بها، واستطاع بذلك أن يقدم نوع جديد من الكتابة التي تهتم بموضوعات العصر، ويشهد على ذلك قوله:" علينا أن نتعلم منطق العصر ولغة العصر وأفكار العصر ثم نقوم بواسطتها بهداية الناس وقيادتهم"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 113)، ونذكر من بين مؤلفاته على سبيل الذكر لا الحصر:

- ✓ كتاب شرح نهج البلاغة.
- ✓ كتاب العدل الإلهي.
- ✓ كتاب الهدف السامي للحياة الإنسانية.
- ✓ كتاب نقد الفكر الديني.
- ✓ نظام حقوق المرأة في الإسلام.

2. تعريف تجديد الفكر الإسلامي

1.2. تعريف التجديد

بالعودة إلى المعاجم اللغوية، وبتتبع تصريف كلمة التجديد ودلالاتها المختلفة، نجد أن الفعل (**جدّ**) يتمحور حول معنى أساسي هو القطع (ابن فارس، 1979م، الصفحات 406-409)، يقال: ثوب جديد، ومِلحَفَة جديد وجديدة حين جَدَّها الحائك أي قطعها حديثاً" (ابن منظور، د ت، صفحة 562).

كما يقال: جدَّدَ العهد، وجدد الوضوء وقد يبدو للوهلة الأولى أنهما بعيدان عن معنى الفعل جَدَّ، الذي يأتي بمعنى القطع، ولكن عند إمعان النظر نجد أنهما على مثل المعنى الأول، فكأن الزمان قطع العهد، فاحتاج إلى تجديد في الأول، وكأن الحدث قطع الوضوء، فاحتاج إلى تجديد في الثاني، ومنه تسمية العرب "الليل والنهار بالجديدَين والأجَدّين، لأنهما لا يبليان أبداً وكل واحد منهما إذا جاء فهو جديد، والجَمْعُ أَجِدَّةٌ وجُدُدٌ وجُدَةٌ ومنه الجِدَة: نقيض البلي" (ابن منظور، د ت، الصفحات 562-563).

فكأن التجديد هو وصل ما انقطع من المعهود، وإعادته إلى حالة الفاعلية، بعد أن أدركه البلى على مرور الزمن، فاحتاج إلى من يعيده إلى حالته الأولى التي كان عليها، وهو المعنى الذي نراه يتساوى مع المفهوم **الاصطلاحي** للكلمة؛ إذ يرى محمد الطاهر بن عاشور أن:" التجديد هو عبارة عن الجهود العلمية والعملية التي تبذل لإصلاح الناس في الدنيا: إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين، وإما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال، وإما من جهة تأييد سلكانه" (ابن عاشور، 1985م، صفحة 113).

كما عرفه وحيد الدين خان بقوله: "إن تجديد الدين لا يعني اختراع إضافة لدين الله وإنما يعني تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي تراكم عليه، وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة" (خان، 2016م، صفحة 09).

وبصورة أخرى التجديد يعني إعادة نضارة الدين ورونقه وبهائه، وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه ونشره بين الناس، ويكون ذلك بإحياء الفرائض المعطلة وإزالة ما علق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفاهيم المنحرفة، وتخليص العقيدة من الإضافات البشرية، لتفهم بالبساطة التي فهمها بها سلف هذه الأمة، واحياء الحركة العلمية في مجال النظر والاستدلال، والعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية.

2.2. مفهوم تجديد الفكر الإسلامي

الفكر عمومًا هو إعمال العقل في موضوع من الموضوعات لتعرف مقوماته وخصائصه، وما يتعلق به، أو هو كما يقول الجرجاني في التعريفات "ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى المجهول" (الجرجاني، 1985، صفحة 186)، أي أن الفكر يتضمن محاولة تحليلية للتوصل إلى المبادئ أو العناصر الأساسية لموضوعه ومحاولة تركيبه إبداعيًا، وهي البحث عن المطالب المجهولة أو حلول المشكلات التي يتصدى لها الفكر.

ويكون الفكر إسلاميًا إذا كان ثمرة لعمل عقلي يعالج مشكلة من مشاكل المسلمين في أي عصر من العصور، مستهديًا بتقاليد العلماء المسلمين في النظر والاجتهاد العقلي، وملتزمًا بالقيم الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله، وربما يوضح ذلك قول أبو ريدة: "الفكر الإسلامي هو اجتهادات مفكري الإسلام في بحث مختلف المسائل، بالاستناد إلى أصول الإسلام الكلية، بحسب ما فرضه عليهم القرآن من التفكير والنظر وطلب الحقيقة في أمور الدين والفكر والحياة"[5] (ابوريدة، 1994، صفحة 05)، وبتعبير أعم هو كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث الرسول –ﷺ- إلى اليوم، في المعارف الكونية المتصلة بالله سبحانه وتعالى، والعلم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكًا" (محسن، 1988، صفحة 18).

3. مصطلحات لها صلة بكلمة التجديد

1.3. الإصلاح

جاء في لسان العرب أن "الصلاح ضد الفساد، وصَلَحَ يَصْلَحُ وَيَصْلُحُ صَلاحَاً وصُلُوحاً، وهو صَالِح وصَليحٌ، وأصلح الشيء بعد فساده بمعنى أقامه" (ابن منظور، لسان العرب، د ت، صفحة 2479). و"الإصلاحُ اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" (الزبيدي، 1965، صفحة 551)، و"أتى بالصلاح بمعنى الخير والصواب في الأمر" (الفيومي، دت، صفحة 333).

أما في المفهوم **الاصطلاحي** "فالصالح هو الخالص من كل فساد" (الجرجاني، التعريفات، 1985م، صفحة 136)، وهو أيضا" عملية تغيير وتحويل لظروف المجتمع والناس ينتج عنها زوال الفساد والتمسك

بقيم الدين وتطوير العلاقات الاجتماعية بين الناس، فعملية الإصلاح تشمل علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه، وعلاقته بمجتمعه، وهذا هو المحور الذي يقوم عليه الدين، فالإصلاح هو العودة بالإنسان إلى دينه الصحيح" (تاغلابت، 2008، صفحة 30).

2.3. الإحياء

الإحياء في **اللغة** مأخوذ من الحياة وهي ضد الموت، وإحياء الليل بمعنى السهر فيه بالعبادة؛ ومنه حديث عمرو وقيل سَلمان:" أحيوا ما بين العشاءين"، أي اشغلوه بالصلاة والعبادة والذكر، وإحياء الأرض أي مباشرتها بتأثير شيء فيها من إحاطة أو زرع أو عمارة" (ابن منظور، لسان العرب، د ت، صفحة 1077)، والإحياء معناه "جعل الشيء حيًا أي ذا قوة إحساسية " (التهانوي، 1996، صفحة 114).

أما من الناحية **الاصطلاحية** فالإحياء هو "كسب تاريخي ينهض بأمر الدين بعد فترة- بعثاً لشعاب الإيمان الميتة في النفوس بتطول الآماد، وقسوة القلوب، ومن خلال التذكير بأصول الدين، والموعظة بوازعه ودافعه، وإيقاظاً للفكر الخامل، والعلم الضائع بنشر أصول الشريعة وعلوم التراث، لتصحيح الواقع الديني المجانب لمعايير الدين تأثراً بضعف الإيمان أو نسيان العلم أو غلبة الباطل. ولما كان دين الله الحق محفوظاً في أصوله الباقية، فإنما يطرأ الموات والخمول والفتور على كسب المؤمنين وتدينهم، فحركة الإحياء بعثاً للروح ويقظة للعلم ونهضة للعمل، تتصوب نحو التدين لترتفع به نحو كمالات الدين، فتقاربه بأتم ما يوفق إليه الله تعالى" (الترابي، 1993، صفحة 69).

ومن هذا المنطلق أخذت فكرة التجديد موقعها في التراث الإسلامي تحت اسم "الإحياء"، كما هو صنيع الإمام الغزالي في مؤلفه الشهير "إحياء علوم الدين"، وهو عمل إجرائي ومشروع علمي متكامل يلامس جوانب مهمة من العلوم الإسلامية بغرض الكشف عن أسرارها ومقاصدها.

- **خصائص فكر مرتضى مطهري وأسلوب منهجه في تجديد وإحياء الفكر الإسلام**

1. خصائص ومعالم فكر مرتضى مطهري

لقد نهض مرتضى مُطَهّري جنبا إلى جنب مع مفكرين كبار في العالم الإسلامي بسلسلة من الإصلاحات، وعمليات التطوير والتجديد على صعيد أوسع وأشمل في قضايا التبليغ والإرشاد الإسلامي، وبمهمة إصلاح المفاهيم، ومحاربة الانحرافات الفكرية، في عصر شهد اضطراب وتردد وتغير في جميع المستويات، مما كشف عن موجة من الأسئلة والشكوك في ساحة الفكر الشيعي، فانبرى مطهري للإجابة عن هذه التساؤلات، وإلى إحياء الأسئلة القديمة والمنسية من جديد وجعلها محوراً لمناقشاته، فتكللت هذه الجهود بإنتاج معرفي ضخم ومتنوع، حاول فيه التأصيل الاسلامي من جهة، والدفاع عن الاسلام أمام شبهات الخصوم من جهة ثانية. وبذلك نجد مشروعه الفكري التجديدي يتسم بجملة من الخصائص والمعالم نستعرض أهمها:

1.1. الغزارة والإبداع

لقب مرتضى مطهري بجامع المعقول والمنقول نظرًا لسعة علمه، فلم يدع حقلاً معرفيًا إلا أدلى فيه دلوه، ولا مجالًا علميًا إلا قال فيه رأيه، ولا مساحة للفكر إلا سلط عليها الضوء، ولا قضية تهم نهضة الأمة إلا أثارها، ولا مفهوما إلا وضحه وأبان فيه الدخيل والأصيل، فكان غزير العطاء ومبدع في إثارة القضايا ومعالجتها، فأعطى لكل قضية حقها وعالجها من جذورها، وتطرق إلى تداعياتها ومخلفاتها على قضايا أخرى، فجمع ببراعة بين عمق الرؤية وشمولية الطرح، إلا أن العنصر الجامع في مشروعه هو الإسلام المحمدي الأصيل وتقديم البديل الإسلامي، حيث يقول في مقدمة كتابه "العدل الإلهي": "... وقد كانت كتبي تارة فلسفية وأخرى اجتماعية، وثالثة أخلاقية، ورابعة فقهية، وخامسة تاريخية، مع أن هذه المواقع متغايرة فإن هدف واحد يجمعها، وغاية واحدة تشتملها، وتلك هي الإسلام، والإسلام وحده" (مطهري، العدل الإلهي، 1997، صفحة 15)،

2.1. الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

أمتنا المعاصرة وجدت نفسها في القرن الأخيرة حائرة في هويتها بين الإفراط في الأصالة وتشبثها بالماضي، وبين التفريط في الانسلاخ من قيم الدين وإقصائه، ولكن مرتضى مطهري قد "خوله التكوين الحوزوي معرفة النص معرفة عميقة وجيدة، وفي المقابل ساهم تكوينه الأكاديمي العالي من التمكن من مناهج ووسائل وطرق ساعدته على توظيف روح النص وتطويع جوهره حتى لا يكون هذا البناء الفكري والمشروع الحضاري منفصلا على الواقع ومنقطعا عن روح العصر" (بوعلاق، 2013م، صفحة 29)، فنجده قد ركز في طريقة وأسلوب طرحه على ضرورة تقديم الإسلام بلغة العصر، وهذا الطرح إن لم نقدمه بهذا الطريقة فسوف يتقوقع الاتجاه الفكري في المجتمع الإسلامي، وفق نطاقات ضيقة بلغة لا يفهمها الكل، أو أن يتم تحريف الإسلام باسم التقدمية بأسلوب عصري، ولذلك يجب أن نقدم كتبا بلغة العصر في الحقول الإسلامية المختلفة، ويشير إلى أنه على الحوزة أن تعي مسؤولياتها العظيمة العلمية والفكرية، فلا مجال لاقتصار أعمالها على الدراسات الفقهية والأصولية، فهذا لا يلبي حاجات الجيل المعاصر، فيقول في كتابه " الإسلام ومتطلبات العصر": "...إنني ومنذ عشرين عاما كلما أمسكت القلم في يدي وكتبت كتابا أو مقالًا استهدفت هدفًا واحدًا، وهو حل المشكلات والجواب على الأسئلة التي تدور حول محور واحد: الإسلام في هذا العصر" (مطهري، الإسلام ومتطلبات العصر). فالهدف الأساس منها جميعاً شيء واحد هو الإسلام وحده. وكان يقول:" الفعل الفاقد للهدف كاللفظ الفاقد للمعنى وكالقشر الذي لا لب فيه" (مطهري، العدل الإلهي، 1997، صفحة 25).

3.1. مواجهة الجمود والتحجر

عُدّ مرتضى مُطَهّري رائد التجديد ونقد الفكر الديني، والدعوة للعودة إلى القرآن الكريم، وتصحيح الأفكار ونبذ البدع، فقد سعى إلى التمسك بحبال العقيدة الصحيحة الصافية، وتقويم مناهج التفكير والعودة إلى الإسلام الأصيل، عبر تصحيح المفاهيم الملوثة السائدة في الأذهان، والتي بدأت تنتشر بصفة

خاطئة في الأواسط الإسلامية، فنسب إلى الإسلام ما ليس منه ثم هاجموا ما صوروا للناس أنه هو الإسلام، فقد لاحظ كثيرا من الكتاب والمفكرين ومعلمي المدارس في مجالات النشر المختلفة وداخل صفوف الدرس أنهم بدأوا يتناولون وجهة النظر الإسلامية لمواضيع مختلفة بصورة مغلوطة، وهذا ما دفعه إلى شرح وتبيين المفاهيم الإعتقادية بالصور المناسبة القادرة على احتواء، واستيعاب المضمون إلى أبعد الحدود، وتبيين ما هو من أصول الدين وتوضيحه، وبالتالي تحديد المصطلحات وتقليص الأخطاء والاشتباهات التي يمكن أن يسببها سوء أو قصور الفهم، فكان مراعيًا في ذلك إفهام المتلقي وجمع ما يحتاج إلى معرفته من المسائل العلمية والفلسفية لتسلم عقيدته وتصمد أمام تيارات الزيغ العصري، والجمود والتحجر الذي ساد المجتمع، ورفع التهمة عن الدين، حيث يقول: "إذا أردنا أن يكون هناك مشروع من أجل إصلاح المجتمع الإسلامي يقوم على أساس الإسلام ويكون مثالا للمجتمع الإسلامي وكذلك إذا أردنا أن تكون هناك ثورة واقعية في مجتمعنا الإسلامي فيجب أن نتوجه نحو التوحيد الإسلامي، ونقارن مجتمعنا به، لنعى مدى الشرك الذي تزخر به حياتنا وكيف أننا نردد اسم الله كثيرًا دون أن يكون لمعناه وجود في حياتنا" (مطهري، الله في حياة الإنسان، 2006، صفحة 67). فكان كلامه هذا موجها لذوي العقول المتحجرة والجامدة، وباعثاً لتصحيح العقائد الدينية من مصادرها الأصلية وهو يرى أن "منشأ البحوث الاستدلالية العقائدية هو القرآن الكريم نفسه وأحاديث الرسول – ﷺ- وخطب أمير المؤمنين عليّ تعقيباً وتفسيراً" (مطهري، الكلام والعرفان، 1992، صفحة 17).

4.1. التصدي للتزوير الحداثي

تميزت حقبة مرتضى مطهري بمرحلة تحدي التغريب والحداثة، الذي دقت نواقيس خطره الماركسية وثوبها الالحادي، مما جعله يسن قلمه دفاعاً عن الدين، إذ يقول في ذلك: "فنحن الآن نعيش عصر العلم والشك والتردد؛ إننا نعيش عصراً مليئاً بالشبهات التي تثار حول الإسلام ويزداد فيه المخالفون للإسلام"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 118)، ولهذا فهو يُعد من أبرز المتصدين للشبهات التي أثيرت في عصره، فانصب جهده على مكافحة المذاهب الأخلاقية المادية، وصنف لأجل ذلك كتابه "فلسفة الأخلاق"، وكان من السابقين لمواجهة الفكر الماركسي وتياراته في إيران ومن نقّاد مذهبه، كما انتقد النزعة المادية التي فسرت القرآن تفسيراً مادياً وماركسياً، حيث صنف لذلك كتاب بعنوان "الدوافع نحو المادية"، وانتقد التغريب الذي أدى ويؤدي إلى الانهزامية العقائدية أمام كل ما يأتي من الغرب، حيث قال في ذلك: "هناك في مجتمعنا انهزامية عقائدية يعشق أصحابها المنطق الديالكتيكي دون أن يكون قد استوعبه استيعاباً كاملاً فهي انطباعات ذهنية كونها بسبب ما يسمعه هنا وهناك، فيزعم أن منطق الإسلام هو نفس المنطق الديالكتيكي، دون التفات إلى أن المنطق الديالكتيكي يحارب دينه وإسلامه ويسعى لاقتلاع جذوره من الأساس"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 81). إلا أنه لا ينفي وجود عوامل أخرى أدت إلى ازدياد الإحساس بضرورة البحث والدفاع عن مباني الإسلام، "فالخطر الذي يحدق بالبشرية اليوم ليس بأقل مما كان يحيط بمجتمعات العصور السالفة، بل إنه أكثر وأعظم...إن سبب

الانحراف هو الغرائز والأهواء المرسلة العنان، هو الشهوة والغضب والحرص على طلب الشهرة والجاه، والنهم في الاستكثار من اللذة، وحبّ الذات وعبادتها" (مطهري، الإمداد الغيبي في حياة البشرية، دت، صفحة 46).

وكانت له شجاعة الكشف عن مقاصد وغايات مدسوسة، وراء شعارات ولافتات باسم التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية، وحارب الأفكار التي كانت تروج على أن الإسلام بني على مسلك جبري وهذا سبب انحطاطهم وتأخرهم بل اعتبروها أهم عامل في ذلك، وأن هذا الدين يسلب الإنسان أي نوع من أنواع الحرية، في المقابل يمكننا القول أنّه لو كان هذا الأمر صحيح فلماذا لم تكن هذه المسائل سببا في انحطاط المسلمين الأوائل؟ ولماذا لم تطرح مثل هذه المواضيع في التعاليم الإسلامية الأولى؟ لكن الملاحظ أن أفكار الغزو الغربي تهدف إلى خلق جو من الوساوس والإشكالات التي تشكل خطراً على المجتمع الإيراني، خاصة وأن ساحة النشاط الفكري - ولاسيما الشباب - تعيش حالة إدبار عن الدين تحت وطأة القطيعة التي راحت تشتد بين العلم والدين وتجرف الشباب للسقوط في أحضان التيارات العلمانية شرقية وغربية.

2. أسلوب منهج مرتضى مطهري في تجديد وإحياء الفكر الإسلامي

اهتم مرتضى مُطَهّري بمسألة النهوض الحضاري واستئناف الحركة الحضارية للأمة الإسلامية، وكان منهجه واضحاً حيث آمن بأن هذا الحركة الإحيائية لابد أن تبدأ من العودة إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة وذلك بالرجوع إلى مصادرها الأصلية، كما لابد أن تمر عبر تطهير الأفكار المنتشرة، وتنظيف النفوس من رواسب الانحرافات الفكرية، ونجده يقول في هذا الأمر: "يجب علينا معالجة الشك والتردد والإجابة على التساؤلات والإشكاليات الفكرية"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 113).

ولأن مُطَهّري كان خبيراً بكل الروافد التي استقي منها الفكر الديني أدواته وطرائقه، والمنابع التي تشكلت من خلالها آفاقه المعرفية، راح يؤكد في وضوح لا لبس فيه على ضرورة إعادة تأسيس الفكر الإسلامي على منهج عقلي وفلسفي راسخ، يستبعد منها كل اشتغال جدلي، وكل توسع في الطرائق والأدوات، ليكون أكثر تماسكاً في بنيته وأساسه، وفيما يقوم عليه من قواعد، وليُؤَمِنَ لنفسه تناسقاً منهجياً عقلياً راسخاً يجرده من أشكال البدع التي يمكن أن تلتصق به، والانحرافات التي يمكن أن تشوه مضامينه، أو أن تخل بدلالاته وتعطل وظيفته، وتدفعه إلى الانشغال بقضايا عريضة لا نفع منها في مضمونها ومؤداها أو في فاعليتها وآثارها.

وزاد في الإشكال الديني الناشئ عن قصور التعويل وعدم الثقة بالدليل العقلي؛ الذي كان علماء الإسلام يعتمدون عليه في إثبات صحة العقيدة الإسلامية، ما ثبت وجوده بالتجربة الحسية، فقد ظهر منهج علمي جديد مأخوذ من الفكر الغربي يدعي الصحة ويقول أن الشك في كل شيء هو أساس المنهج العلمي الصحيح، بيد أننا نجد أن مفتاح الشخصية الفكرية لمرتضى مُطَهّري هو الأفق الفلسفي، الذي

يفتح منافذ العقل على الشكوك والتساؤلات، وعن هذه الخصيصة الفكرية يقول: "لا أنزعج إطلاقاً من طرح التشكيكات وإلقاء الشبهات فيما يتعلق بالقضايا الإسلامية...أعتقد بأن هذا الدين السماوي المقدس كلما تعرض في جبهة من الجبهات للمواجهة والهجمات، خرج من المعركة قوياً عزيزاً طاهراً متلألئاً، إن ميزة الحقيقة هي أن الشك والتشكيك يساعدان على إشراقها أكثر فأكثر، فالشك مقدمة اليقين، والتشكيك سلم البحث والتنقيب"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 207). وقد جاء في رسالة ميزان العمل للغزالي (ت 505ه)، ما نصّه:" ...ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب، فناهيك به نفعاً، إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى في العمى والضلال"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 126).

ولهذا كان هذا نمط في الاستدلال عن العقائد الإيمانية، حيث اعتمده الفلاسفة ويعبر عنه بمقولة الاحتياج التي تعد قانونا طبيعيا، ونقصد به أن ما من موجود من الموجودات إلا ويحتاج إلى شيء معين في مساره الطبيعي، وفي حياته الوجودية، وذلك الشيء ممكن بالنسبة إليه، فهذا المنهج يرى أن كل معدوم في العالم تعود علة عدم وجوده إلى عدم الإمكان وعدم قابليته للوجود، وأن كل ما له إمكان وقابلية للوجود فلا بد أن يوجد (مطهري، دراسات عقدية، 1431، صفحة 217)، وبذاك يكون حسب مطهري المنهج الوحيد الذي يستطيع أن يقدم المعارف التوحيدية الإلهية السامية.

ويؤكد مرتضى مُطَهّري أن العقل الشيعي كان فلسفيا منذ البداية، وكان ممن ناصروا المنهج الفلسفي، واعتمد عليه في دفع الشبه عن القضايا العقدية، ولذا كانت له دراية بالمنهج مستخلصاً أن "العمدة في المسائل الفلسفية هو التصور الصحيح لها، ولذا لابد للإنسان في إجهاد نفسه منذ البداية في تصور المسألة جيدًا وإجالتها في ذهنه، فإن استطاع أن يطرحها طرحًا صحيحًا تمكن من الوصول فيها إلى حل صحيح وإلا فلا، فالعقبة كل العقبة في ذلك هي عدم الطرح الصحيح الذي قد يطيل بالإنسان الوقوف عمرًا بأكمله، ومن ثم لا يصل إلى نتيجة، وهذا الكلام صادق تمامًا في التوحيد" (مطهري، التوحيد، 2009م، صفحة 16).

- **دور مرتضى مطهري في إحياء الفكر الديني الإسلامي**

لم تكن المنطلقات الفكرية التي شكلت الدافع لتجديد الفكر الإسلامي عند مُطَهّري تختلف عنها عند أولئك الذين تحسَّسوا المأزق المعرفي الذي اصطدم به الفكر الإسلامي واندفع فيه، حتى فقد كل فاعلية له في حياة المسلمين المشخصة، فقد أدرك مُطَهّري بوضوح الانعطافة التي جعلت منه فكراً جافاً لا تحرك مقولاته وجدان البشر باتجاه مضامينها وما يعبر عنه، ولا تثير فيهم أيّ فاعليّة أو اندفاع، ولا تحرض عندهم أي شعور بالمسؤولية الملزمة تجاه أنفسهم وتجاه مجتمعهم وتجاه العالم الذي يعيشون فيه، فراح يستعيد جملة هذه المقولات في محاولة متكاملة للتأسيس الفكري الإسلامي، ومن البحوث التي أثارها نذكر على سبيل الذكر لا الحصر:

1. الحركة التجديدية في نطاق الفكر العقدي المعرفي

1.1. دور مرتضى مطهري في تجديد معالم التوحيد

1.1.1. التوحيد

إن التوحيد على رأس جميع الاعتقادات التي لها أصل بالدين، فهو يشكل جوهر القضايا ومبدءها وأساسها وركيزتها الكلية، وقد "ورد عن أمير المؤمنين أنه قال: أول الدين معرفته، فمعرفة الله هي أول الدين وأساسه" (مطهري، التوحيد، 2009م، صفحة 13). ولهذا كان له النصيب الأوفر في بحوث وانشغالات مُطَهّري، متلمساً في ذلك معانيه ودلالاته، ومستعيداً وهجه وتدفقه وحراكه، ومؤكداً على الدور الخطير الذي يلعبه في مستوى المعرفة والإدراك والعلم، وفي مستوى الشعور والوجدان والقلب، وفي مستوى الحراك الاجتماعي، باعتباره ركيزة للحياة وباعثاً للعمل ودافعاً للجهد وناظماً لحركة الإنسان، فهو "من النوع الذي سهل الله حمله وأعان عليه من خاصة أوليائه، فإنه ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس، لأن منهم القوي والضعيف، ومنه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق إلا من يسهل الله له حمله" (مطهري، التوحيد، 2009م، صفحة 08).

2.1.1. العدل

برز أصل آخر للشيعة، ألا وهو العدل الذي يعني: "إعطاء كل موجود ما يستحقه" (مطهري، دراسات عقدية، 1431، صفحة 146). فالبحث حول العدل الإلهي يكون من جهة أن العدالة هي صفة كمال في الخالق، حيث إن الله عز وجل هو الجامع لجميع الصفات الكمالية والجمالية، ومن جهة أخرى أن العدل عبارة عن رعاية حق الغير، وهذا المعنى يمكن أن يتحقق في العلاقة بين المخلوقات في ما بينها، ولا يتحقق في العلاقة بين الخالق والمخلوق (مطهري، دراسات عقدية، 1431، صفحة 141)، ولما كان الأمر كذلك فقد نشأة علاقة بين العدل والجبر والاختيار، فالإنسان عندما يكون مختاراً فانه يصبح للجزاء والمكافأة العادلة مفهوم ومعنى، ولكن عندما يكون مجبوراً، مسلوب الإرادة ومحروم من الحرية فعندها لا يكون للتكليف معنى ولا للجزاء (مطهري، الإنسان والقدر، 1428، الصفحات 61-62).

3.1.1. القضاء والقدر

يقال أحيانا أن سر انحطاط المسلمين هو الاعتقاد العميق بالمصير والقضاء والقدر، وعلى أنه استسلام لدواعي الزمن ومجريات التاريخ وللمصير المحتوم الذي يفرضه إيقاع الحياة الخارج عن إرادة واختيار البشر، وهذه الأمور تصدى لها مطهري بالدفاع والتبيين، فقد درسها محاولا تبيين "هل الاعتقاد بالقضاء والقدر مدعاة للخمول والكسل والخور، وبالتالي يؤدي بالمجتمع الى الاضمحلال والفناء، أم طريقة عرضها هي السبب في هذا التأثير السيء، وبالتالي إذا عرضت عرضا صحيحا فسوف لن يكون لها هذا التأثير السيء، ثم إن معرفة كيفية عرض الإسلام لهذه المسألة وتعليمها لأتباعه سوف تعالج فهم هذه القضية" (مطهري، الإنسان والقدر، 1428، صفحة 20).

2.1. دور مرتضى مطهري في تجديد قضايا النبوات

1.2.1. النبوة

رد مرتضى مطهري على التساؤلات التي كانت تثار حول النبوة، معرفاً لها ومبيناً أنها "إراءة وكشف الطريق" (مطهري، القيادة في الإسلام، 2005م، صفحة 11)، ومثبتاً لها تارة بإتباع المنهج الكلامي، وتارة أخرى بالاستعانة بالمنهج الفلسفي، الذي برهن هذا الأخير على أن النبوة ممكنة، حيث افترض الفلاسفة إمكان اتصال الإنسان بالعالم الآخر حيث يلقى إليه من هناك الإلهام والغيب، ثم برهنوا على هذا الإمكان، ثم جمعوا هذه المقدمة مع مقدمة أخرى وهي عدم وجود نبوة يؤدي إلى ظهور فراغ وجودي لدى البشر وهذا يفضي إلى اضطراب عام في الحياة الإنسانية، وبحاصل الجمع بين هاتين المقدمتين توصلوا إلى ضرورة وجود النبوة في نظام العالم (مطهري، النبوة، د ت، صفحة 88). وفي خضم ذلك رد مُطَهري على قضية ختم النبوة، مثبتاً أن "من أسباب تجديد الرسالة وظهور الأنبياء الجدد، التبديلات والتحريفات التي كانت تحدث لتعليمات الأنبياء وكتبهم المقدسة، ولكن عندما يبلغ البشر مرحلة التكامل تمكنهم من الحفاظ على ميراثهم الديني سالما فعند ذاك ينتفي السبب الرئيس لتجديد وظهور النبي الجديد، فيتوفر الشرط اللازم لبقاء الدين خالداً (مطهري، ختم النبوة، د ت، صفحة 11). ونجد مُطَهّري قد عرج على المعجزة ودور الإنسان فيها، داحضاً التصور الخاطئ حول عدم وجود علاقة بين صاحب المعجزة وإرادته فيها، وكونه صفحة لعرضها فقط، وبين أن الذات الإلهية المقدسة تأبى أن يصدر فعل طبيعي دون واسطة وخارجاً عن دائرة النظام، كما أن القرآن الكريم يذكر صراحة تامة أن الرسل هم الذين يأتون بالآية (المعجزة) ولكن بإذن الله (مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 13)، قال الله تعالى:"**وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**"(الرعد: 38)، فهي "فعل وأثر يأتي به النبي للتحدي، وإثبات مدعاه ليكون علامة على وجود قدرة ما وراء البشرية، تفوق الطاقة الإنسانية بشكل عام" (مطهري، دراسات عقدية، 1431، صفحة 251). فصحح مطهري على إثر ذلك الادعاء القائل أن القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة لنبينا محمد ﷺ، وذكر أن في القرآن نفسه دليل على أن للرسول الكريم معجزات أخرى مثل انشقاق القمر، والإسراء والمعراج.

2.2.1. الإمامة

تعرض مطهري إلى باب الإمامة فعرفها في شقها اللغوي بأنها "الشخص المتبع والمقتدى به، سواء أكان قدوة للناس في طريق الخير أم في طريق الشر، وسواء أقاد الناس نحو الهدى أو باتجاه الضلال" (مطهري، الإمامة، د ت، صفحة 38)، أما في كتب الأقدمين فتُعرف على أنها "رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا" (مطهري، الإمامة، د ت، صفحة 11)، وهي عهد إلهي لا يناله إلا من وصل إلى الكمال الإنساني، ونجد أن مراتبها مستمدة مما للنبي من شؤون في الأمة، فهو مبلغ، وقاضي بين المسلمين، وقائد، وولي أمر، ورئيس دولة، ولكن للإمامة دور آخر فلو أنها تقتصر على كونها مجرد قيادة سياسية للمسلمين، لاتفق الشيعة مع السنة في القول بأنها جزء من فروع الدين ولا شأن لها بالأصول، ولكن الشيعة يعتقدون بمرتبة أخرى للإمامة تنبع من دور آخر للإمام، فالإمام هو المرجع الديني في بيان الدين بعد النبي، وبذلك

تعتبر "عند مدرسة أهل البيت أعلى مقام من مقام النبوة" (مطهري، دراسات عقدية، 1431، صفحة 311).

3.1. دور مرتضى مطهري في تجديد قضايا السمعيات:

1.3.1. الغيب

عرف مطهري الغيب بأنه: "الأمور الغائبة عن الحواس الظاهرية" (مطهري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن، 2009، صفحة 450)، أو هو "الخفاء وراء الستار؛ أي هو الشيء الذي غاب عن حواسنا، وخرج عن دائرة الإدراك الحسي" (مطهري، الإمداد الغيبي في حياة البشرية، دت، صفحة 18)، وقال أيضًا أن "الغيب إنما كان غيبا بالنسبة إلينا، لقصور قدراتنا الحسية، والإدراكية لا لوجود حائل وستار، بين هذه القدرات وبين الغيب" (مطهري، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن، 2009، صفحة 454)، أي لعدم مقدرتنا على إدراك الغيب وهذا يرتبط بعدم قدرة حواسنا على الإدراك، لا بوجود مانع وحاجز بينه وبين جهازنا الحسي والإدراكي.

والإيمان بالغيب الذي اشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:" **الذين يؤمنون بالغيب**" هو الذي يميز بين من يعتقد بالأديان والشرائع السماوية، وبين من لا يدين بذلك، وبعبارة أخرى الذي يميز بين الإلهي والمادي هو الغيب الذي هو عبارة عن خفاء الحقائق، وهذا الخفاء وعدم الظهور بمعنى عدم كون تلك الحقائق محسوسة وملموسة بالمباشرة، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (الشهادة) في قبال كلمة (الغيب). والشهادة هذه هي بمعنى الحضور، كحضور الموجودات التي نراها ونحس بها ونلمسها، وقد أطلق القرآن الكريم على عالم الطبيعة هذا الاصطلاح فأسماه بعالم الشهادة الذي لا يختلف فيه الإلهي والمادي، أي أنهما لا يختلفان في الطبيعة، فهما يؤمنان بعالم الشهادة والطبيعة ويعترفان بهما على حدّ سواء، غير أن الإلهي مضافا إلى اعتقاده بعالم الطبيعة يعتقد أيضًا بعالم الغيب، أي أنه لا يعتبر الوجود منحصرًا بالمشهودات والمحسوسات فقط، بل يعتقد بالموجودات الغيبية وغير المحسوسة التي على رأسها الاعتقاد بالله تعالى ثم الاعتقاد بسائر الموجودات الغيبية الأخرى التي عبر عنها القرآن بالملائكة، ثم الاعتقاد بالوحي والمعاد اللذين هما من الغيب أيضًا (مطهري، التوحيد، 2009م، صفحة 14).

2.3.1. الايمان باليوم الآخر:

وعلى أساس الإيمان بالآخرة والعالم الأبدي والمصير، تحدث مطهري عن المعاد، معارضاً الفكر القائل بأن الاهتمام الكبير الذي يبديه الاسلام بأمر الآخرة وتحقير الدنيا، قد صرف فكر المسلمين عن التفكير الجدي لمسائل الحياة، إلا أننا نجد القرآن الكريم قد ركز على حقيقة المعاد، إلى حد بلغت فيه الآيات التي تتحدث عنه حوالي 1400 آية، ولا شك أنه لم يرد مثل هذا العدد من الآيات في أي موضوع آخر ولا جرى تأكيده بمثل هذه الكثافة. ومع أن "كلمة المعاد لم تذكر في القرآن الكريم -بمعنى الزمان والمكان العود- ولكن هي من التعبيرات الدالة على القيامة، مع أن المعاد هو أشهر أسماء القيامة ولكنه لم يرد في

الاصطلاح الشرعي، إلا أننا نجد كلمات تناظر المعاد مثل: مآب ومرجع ورجوع" (مطهري، المعاد، 1418هـ، صفحة 42). كما أننا نجد المنهج الصحيح لإدراك المعاد وبناء صيغته، هو الاعتماد على الآيات القرآنية، وذلك للانطلاق من خلفيات معينة نمارس على أساسها الاستدلال العلميّ والعقليّ، "فلم يعد العلم الحديث معارضا لنظرية المعاد بالشكل الذي طرحه القرآن وفهمه المفسرون، فهذا العلم إن لم يؤيدها ويتوقعها، فهو على الأقل لا ينفيها" (مطهري، دراسات عقدية، 1431، صفحة 351).

2. الحركة التجديدية لمرتضى مطهري في نطاق الجانب الفاعلي للإسلام

تناول مرتضى مطهري عدة مسائل، كشف من خلالها الجوانب الدينية عبر البحث في آيات القرآن وتصرفات النبي –ﷺ- التي تُبدي الإسلام في شكل حياتي معاش، ومن هذا القبيل تطرق مرتضى مطهري إلى عدة مسائل متفرقة، معالجا لها وموضحا وجه الشبهة فيها، ومبينا الدخيل من الأصيل فيها، نذكر منها:

1.2. المعتقدات الخاطئة والتأويلات الباطلة

1.1.2. الآفات الاجتماعية والمعتقدات الخاطئة

عرف مُطَهّري جملة الآفات التي أصابت معتقدات المسلمين، والانحرافات التي التصقت بها فشوهت مضامينها وأخلت بآثارها وقادت إلى نتائج كارثية في المعرفة وفي العمل، انتهت شيئاً فشيئاً إلى تشويه ممارستنا الحضارية في التاريخ، وأضرت باجتماعنا، وساهمت في اندثار مدينتنا بما ولدته من خلل في الشخصية، أو انعدام توازن في العلاقات، وزوال الإحساس بالمسؤولية، وفي هذا السياق راح مُطَهّري يعدد المعتقدات الزائفة التي دخلت في جميع معتقداتنا فشوهتها، كما أنه شخص التخلف الفكري والانحطاط الثقافي الذي أصاب الحياة الدينية للمجتمع الشيعي لعدة قرون، وعزا ذلك الأمر إلى اعتمادهم على الأخبار والروايات، وتخليهم عن القرآن والعقل والإجماع والاجتهاد، وعن هذه الحقيقة يقول:" قبل نحو أربعة قرون شهدت الأوساط الشيعية حركة سميت بالحركة الإخبارية...هيمنت على عقول الناس لثلاثة قرون من الزمن...كانوا الإخباريون يرفضون منهج الاجتهاد...ويرجعون مباشرة إلى الأخبار المروية ويستلهمون أحكام الشريعة منها...وكان الإخباريون يشكلون أبرز مظاهر الجمود، وليتهم اكتفوا بالجمود، ولكنهم أبدوا تعصباً أعمي بالنسبة للأحاديث والأخبار، إضافة إلى ذلك فقد عارضوا حجية ثلاثة من الأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والعقل والإجماع"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، الصفحات 139-142).

2.1.2. التوكل

انقلب مفهوم التوكل إلى معنى التواكل والتكاسل والتحجر والجمود، وراح يستثمر في الكسل لا في العمل، وهذا بسبب مرويات وأخبار جمدت الفكر الديني الشيعي، فساد في المجتمعات الشيعية سوء فهم باتخاذ التشيع وحب أهل البيت وسيلة للتهرب من تحمل المسؤولية الإسلامية فالانتماء إلى الإمام عليّ كافٍ للنجاة، وتحول الأمر إلى مجرد وسيلة للتخدير والكسل والتهرب من العمل، بانتظار أن يقوم الإمام بكل

الأعمال، وفي القيامة بتحمل الإمام كل المسؤولية!" وهنا نقف على رواية مشهورة تقول:" **حب عليّ سنة لا تضر معها معصية!**"، كما نجد غير هذه المرويات كثيرة حيث نجد أن بعض الأخبار نشرت أفكار عن قتل واستشهاد الحسين لكي تغفر ذنوب الأمة، فشهادة الحسين إنما جاءت كفّارة لذنوب الأمة، وهذا دليل على التحليل المنحرف لنهضة الإمام الحسين فقد جرى تحليل وفهم النهضة بهذه الطريقة وبالتالي أدت إلى هذه النتائج، بينما عقيدة الشيعة تنطلق من قوله تعالى:" **الذين امنوا وعملوا الصالحات**"، فالإيمان ضروري والعمل الصالح كذلك(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 50).

3.1.2. الشفاعة

إن الاعتقاد بالشفاعة الموجود في كل العصور الاسلامية جعل المسلمين لا يهتمون بالنسبة للذنوب التي كان سر تحريمها هو تأثيرها السيء في السعادة، فأصبح المسلمون لا يتورعون عن أي رذيلة وجريمة موكلين أمورهم للشفاعة من جهة، وانتظار الفرج من جهة أخرى، وهذه الأخيرة عقيدة سلبت الشيعة كل النوايا الاصلاحية، فنجد الشيعة في حين تعمل على النهوض منتظرين خاملين ينتظرون يدا تخرج من عالم الغيب وتصلح الأوضاع (مطهري، الإنسان والقدر، 1385، الصفحات 29-30)، هذه الأفكار المنتشرة والتأويلات والتفسيرات المحرفة، قد صرفت فكر المسلمين عن التفكير الجدي لمسائل الحياة، التي استعين بها لتبرير أفعال بعض الشيعيين، فكان لها أثر بالغ في تخلف الفكر الشيعي ردحاً من الزمن

2.2. قضية المرأة وفق قانون حقوق الانسان

1.2.2. قضية المرأة

في خضم التجربة النضالية التي مكنت مطهري من كشف الآفات التي تطغى على مجتمعه والأسباب التي تساهم في تأخره والعوامل التي تقلل من فاعليته، تأتي صرخة من الغرب اقترنت فيها النهضة العلمية والفلسفية بالنهضة الاجتماعية، ونشط باسم حقوق الإنسان كُتاب ومفكرو القرنين السابع عشر والثامن عشر بنشر أفكارهم بين الناس حول الحقوق الطبيعية والفطرية، وفي القرن العشرين طرحت مسألة حقوق المرأة في مقابل حقوق الرجل، تبنت هذه الأفكار جهات مسلمة ممن قلدوا النظم الغربية وانبهروا بأفكار الغرب، حيث أضيفت جملة من القضايا إلى جانب المساواة بين الرجل والمرأة فقد انتشرت مسألة حرية المرأة، ومسألة الحجاب، والمهر، والنفقة، والطلاق، وتعدد الزوجات، الميراث وغيرها (مطهري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، 2005، الصفحات 6-9)، وهذه القضايا لما أثيرت كان الدافع منها حل جميع المشاكل الأسرية وتحقيق قيمة إنسانية للمرأة في المجتمع، والظاهر أن الأحاديث الرائجة من مقلدي النظم الغربية، تقول أن الإسلام احتقر المرأة وأهانها والتزم جانب الرجل فقط (مطهري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، 2005، صفحة 132)، إلا أن مطهري أجاب قائلاً أن: "القرآن الكريم باتفاق الصديق والعدو هو الذي أحيا حقوق المرأة فالأعداء قد شهدوا على الأقل أن القرآن في عصر نزوله قد خطا خطوات كبيرة لصالح المرأة وحقوقها الإنسانية، ونظر إليها القرآن كما نظرت إليها الطبيعة ومن هذه

الناحية نجد الانسجام الكامل بين أوامر القرآن وأوامر الطبيعة، فالكتاب التدويني والكتاب التكويني كلاهما متطابقان مع بعضهما (مطهري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، 2005، صفحة 22). ومن المسلم به أن الإسلام لم يمنح المرأة والرجل حقوقا من نوع واحدا ولون واحد، لكنه لم يفضل الرجل على المرأة في الحقوق، لقد راعى مبدأ المساواة في الإنسانية بين الرجل الإسلام يقر المساواة في الحقوق ولكنه لا يقر تشابه هذه الحقوق.

2.2.2. قضية الحجاب

وأما فيما يخص قضية الحجاب فقد قيل أنها تجميد للطاقة التي أودعتها الخلقة في ذات المرأة، وأنّه يسلبها حريتها وحقها الطبيعي كانسان، ولذلك فهو يعتبر إهانة إلى الكرامة الإنسانية للمرأة (مطهري، مسألة الحجاب، 2009م، صفحة 86)، وفي ذلك يرد مرتضى على هذا الإدعاء بأن الحجاب كان موجودًا في العالم قبل الإسلام، وأنه ليس من ابتداعه، وهو واجب ملقى على عاتق المرأة يطلب منها بموجبه أن تكون متسترة بصورة خاصة عند تعاملها مع الرجل، فالرجل ليس هو الذي فرض عليها هذا الواجب، ولا هو مما يتعارض وكرامة المرأة، ولا هو اعتداء على حقوقها الطبيعية التي أقرها الله لها (مطهري، مسألة الحجاب، 2009م، صفحة 86)...إنما الأمر على العكس من ذلك إذ أن حجاب المرأة ضمن الحدود التي حددها الإسلام، يرفع مقامها ويزيد في كرامتها ويوجب احترامها، لأنه يردع عنها الإيلاف والذين لا خلاق لهم" (مطهري، مسألة الحجاب، 2009م، صفحة 87). ولأن الغرض المنشود من رد مرتضى مطهري -على هذه القضايا المثارة والمتعلقة بالمرأة- الجانب العملي فقد التمس هذا فعلا، حيث كانت له حجة إقناع كبيرة إذ قيل أن كتابه غير كثيرا في الأوساط الإيرانية، حتى أن بعض النساء العصريات أعدن النظر عمليا في سلوكهن، وهذه اللفتة بادرت خير في إصلاح عقائد هذا الجيل وأفكاره.

3.2. المجتمع والتاريخ

1.3.2. وحدة المجتمع والتركيب الو اقعي

تحدث مطهري من قبيل المجتمع والتأريخ عن وحدة المجتمع، وأكد أن للبشر وحدهم ميزة خاصة بين الكائنات، فهم وحدهم القادرون على تشكيل مجتمع ذي خصائص واضحة، تنظمه مجموعة من الأعراف والتقاليد والعادات والرؤى والتصورات والآداب، وتشكله في كل فرد يقتضى حقوق وواجبات، ومنافع ووظائف متبادلة، هذا الترابط أطلق عليه مطهري اسم التركيب الواقعي، إلا أن هذا التركيب لا يمكن أن يتم على وجه حسن إلا إذا ضبط بسنن موحدة وقوانين كلية شاملة لا تختلف ولا تتخلف، وعلى مثل هذه الوجهة يركز الإسلام –حسب مطهري- الذي يرى أن للمجتمعات وحدة نوعية، مستنبطاً ذلك من تركيز الإسلام على وحدة الدين، الذي ليس إلا النظام التكاملي للفرد والمجتمع، فالقرآن الكريم يسمي هذا الدين الذي دعا الأنبياء من آدم وحتى خاتم الناس إليه بالإسلام، فيقول تبارك وتعالى حول يعقوب وأبنائه:" **فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون**"(البقرة 132)، وقال تعالى حول ابراهيم:" **ولكن كان حنيفا مسلماً**"(آل عمران67). وهذه الوحدة والمبادئ الفكرية والعلمية هي واحدة، ولها هدف واحد، ومنهجا

واحدا، رغم ما نجده من اختلاف في الشرائع والقوانين بين الأنبياء" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (مطهري، ختم النبوة، د ت، صفحة 14).

2.3.2. التقريب بين المذاهب والوحدة الاسلامية

إن الأنبياء جميعا يتبعون مدرسة واحدة ويعتمدون منهجا واحداً، لذلك نجد تعدد الأديان إنما هو انحراف عن الفطرة، وتنكر للطبيعة البشرية، فيجدر بالمسلمين امتلاكهم وحدة في الرؤية الإسلامية، ووحدة في العمل. فمطهري يرى أن سبب تباعد المسلمين واختلافهم وتفرقهم راجع إلى اختلافهم المذهبي وتفرقهم إلى فرق كلامية وفقهية، ويقول في موضوع التقريب بين المذاهب: " هذا الأمر لا يعني أن تؤخذ المشتركات المذهبية-أصول عقائدية أو غير عقائدية أو حكم شرعي_ ويتركوا مختصات كل مذهب جانباً، - من أجل تحقيق الوحدة - مثل هذه الأمور لا تتناول باسم الطلب والرجاء ولا باسم المصلحة، ولكن يكون ذلك بالمنطق والبرهان"(مطهري، نقد الفكر الديني، 2011م، صفحة 162)،

وعلى كل فأطروحة وحدة المذاهب تحت عنوان الوحدة الإسلامية ليست عملية –حسب مطهري- فيمكن للمذاهب الإسلامية أن تتوحد ولكن على كل مذهب أن يحافظ على نقاط الاختلاف الفقهية والكلامية وغيرها، والاكتفاء بالمشتركات المتوفرة فيما بينهم، وأن يتعاضدوا يدًا بيد ويبنوا جبهة واحدة متآخية، تفتح جانب التعاون والتآخي والتبادل المعرفي.

- **الخاتمة**

وختاماً نقول أنّ الذي يقرأ سلسة مطهري يكشف عن الهاجس الذي كان يحمله، فقد جمعت المحاضرات التي كان يلقيها، والتي شكلت حصيلتها مجموعة من الكتب القيمة، فقه دعوته إلى صراط الله المستقيم، فهو:

- من كبار المثقفين الذين يكتنزون معارف عصرية علمية وفكرية ودينية، ويملكون اطلاعا واسعاً على فلسفات ورؤى وتصورات كانت حصيلة الحراك الفكري والعلمي والثقافي لقرن بأكمله.
- عُدّ من بين رواد التجديد ونقد الفكر الديني والدعوة للعودة إلى القرآن الكريم وتصحيح الأفكار ونبذ البدع.
- قدم خدمات ومؤلفات ضخمة من شأنها أن تربي الإنسان عامة والجيل الشاب خاصة، في ظل أجواء الإرهاب والحداثة ونقص الوازع الديني.
- أعاد تبصر شامل لمسائل العقيدة من توحيد ونبوة وإمامة ومعاد وغيرها.
- أكد أن مبدأ التوحيد فيما يُشكله في مضمونه العميق وفي أبعاده، هو وحده الذي يضمن للبشر أن يقيموا اجتماعهم على ركائز ثابتة راسخة. ويكفل للمسلمين أن يعيدوا مجد حضارتهم.
- بين أن العلم ونتائجه تفتح الأفق أمام قضايا العقيدة لتلامس أسئلة تجاه الإنسان ومصيره لم تكن معروفة ولا متبصرة.

توصيات:

على ضوء ما أسفرت عنه الدراسة يقترح الباحث:

- صرف الباحثين المتخصصين للاهتمام بسؤال التجديد، وتسليط الضوء على دراسة التجارب الإصلاحية وعلى منهج مجددي العصر ومفكريه.
- التوعية بأهمية التقصي حول الاشتقاقات اللغوية ومطابقتها لمعانيها القرآنية.
- العمل على تحصين الشباب المسلم بالفكر الإسلامي النير، وترسيخ القيم والآداب الإسلامية الصحيحة للإسلام، ونشر الوعي الديني البعيد عن الغلو والتطرف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

- **قائمة المصادروالمراجع:**

1) القرآن الكريم

2) ابن منظور. (د ت). **لسان العرب** (طبعة جديدة). (تح: علي الكبير وآخرون عبد الله) القاهرة، مصر: د د ن.

3) ابوريدة محمد عبد الهادي. (1994). في **فكرنا الحديث والمعاصر. دط.** القاهرة. د د ن.

4) أحمد ابن فارس. (1979). **معجم مقاييس اللغة** (د.ط). (تح: عبد السلام محمد هارون) د.ب: دار الفكر.

5) أحمد الفيومي. (دت). **المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبيرللر افعي** (د ط). د ب: د د ن.

6) حسن الترابي. (1993). **تجديد الفكرالإسلامي** (ط1). المغرب: دار القرافي للنشر والتوزيع.

7) الشريف الجرجاني. (1985). **التعريفات** (ط جديدة). بيروت: مكتبة لبنان.

8) الطاهر ابن عاشور. (1985). **تحقيقات و أنظارفي الكتاب والسنة** (ط1). تونس: الشركة التونسية للنشر والتوزيع.

9) عبد الحميد محسن.(1988).**تجديد الفكرالإسلامي**(د ط).شبرا: دار النصر للطباعة الإسلامية.

10) محمد الصادق بوعلاق. (2013). **الشيخ مرتضى مطهري رائد تجديد الفكرالإسلامي** (ط1). تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.

11) محمد علي التهانوي. (1996). **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** (ط1). (علي دحروج، المحرر) لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

12) محمد مرتضى الزبيدي. (1965). **تاج العروس من جواهر القاموس.** (عبد الستار احمد فراج) الكويت: التراث العربي.

13) مرتضى مطهري. (1391). **الدو افع نحو المادية** (د ط). (تر: محمد على التسخيري) طهران، إيران: المشرق للثقافة والنشر.

14) مرتضى مطهري. (1418). **المعاد** (د ط). (تر: جواد على كسار) د ب: دار الحوراء.

15) مرتضى مطهري. (1428). **الإنسان والقدر** (ط1). (التسخيري محمد علي) طهران، ايران: المشرق لثقافة والنسر.

16) مرتضى مطهري. (1431). **دراسات عقدية** (ط1). بيروت، لبنان: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

17) مرتضى مطهري. (1992). **الكلام والعرفان** (ط1). بيروت، لبنان: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

18) مرتضى مطهري. (1997). **العدل الإلهي** (ط3). (محمد عبد المنعم الخاقاني) بيروت، لبنان: الدار الاسلامية.

19) مرتضى مطهري. (2005). **القيادة في الإسلام** (ط1). د ب: مركز نون للطباعة والنشر.

20) مرتضى مطهري. (2005). **نظام حقوق المرأة في الإسلام**. ايران: دار الكتاب الاسلامي.

21) مرتضى مطهري. (2006). **الله في حياة الإنسان** (ط3). بيروت، لبنان: دار الهدى.

22) مرتضى مطهري. (2009). **التوحيد** (ط2). (تر: ابراهيم الخزرجي) لبنان: دار المحجة البيضاء.

23) مرتضى مطهري. (2009). **الفكر الإسلامي وعلوم القرآن** (ط1). بيروت، لبنان: دار الرشاد.

24) مرتضى مطهري. (2009). **شرح المنظومة**. (عمار ابو رغيف) لبنان، بيروت: مؤسسة أم القرى للتحقيق.

25) مرتضى مطهري. (2009). **مسألة الحجاب** (ط2). (تر: جعفر صادق خليلي) د ب: آينده درخشان.

26) مرتضى مطهري. (2011). **نقد الفكر الديني** (ط1). (تر: صاحب صادق) لبنان، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

27) مرتضى مطهري. (د ت). **الإمامة**. (تر: جواد علي كسار) د ب: دار الحوراء للطباعة والنشر.

28) مرتضى مطهري. (د ت). **النبوة**. (تر: جواد علي كسار) د ب: دار الحوراء للطباعة والنشر.

29) مرتضى مطهري. (د ت). **ختم النبوة**. (تر: عبد الكريم محمود) لبنان: دار المحجة البيضاء.

30) مرتضى مطهري. (دت). **الإمداد الغيبي في حياة البشرية** (ط1). (تر: محمد علي آذراشب) مجتمع جاب نقشينه بيمان.

31) وحيد الدين خان. (2016). **تجديد علوم الدين** (د ط). (تر: ظفر الإسلام خان) المحمدية: عالم الأفكار.

32) حورية تاغلابت. (2008). **الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد**. رسالة دكتوراه. باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجزائر: جامعة الحاج لخضر.